

طقس الإلهة إيزيس بالجزائر في الفترة الرومانية

د . جهيدة مهنتل *

ملخص البحث :

تعتبر الإلهة إيزيس أكثر الآلهة المصرية شعبية و انتشارا خارج حدود مصر. ولقد أكدت المصادر منها خاصة الكاتب ابوليوس (المولود بمدينة مادو روش ،شرق الجزائر) وجود طقس هذه الربة. كذلك الكتابات اللاتينية التي اكتشفت بمناطق مختلفة منها مدينة لامبيز و مدينة قسنطينة و مدينة شرشال و غيرها التي أشارت إلى وجود عباد لهذه الربة و كذلك إلى تكريس معابد لها.

- مقدمة

لقد عرفت الحضارات القديمة معبودات عديدة ، واشتهرت الحضارة الفرعونية المصرية خاصة بما يعرف بالثالوث الإلهي المصري الذي يتكون من الإله اوزيريس الأعظم و الإلهة إيزيس زوجته و ابنهما حورس . وارتبطت الطقوس المصرية القديمة بالإلهين الزوجين ، (إيزيس و أوزوريس) و خاصة في طقس التكريس الذي يقضي بأن يعبر المكرس معاناة الموت للحصول على المعلومات من العالم الآخر (عالم الأموات) ، فيقسم الجسم البشري إلى ثلاثة أقسام تحتوي على معلومات خاصة بالآلهة التي كانت تشارك في هذا الطقس ، بما فيهم أوزوريس كبير الآلهة الذي و حسب الأسطورة لم يشارك فقط في طقس التكريس ، بل عبر الموت عندما قطعه أخوه (ست) إله الشر إلى أربعة عشر قطعة و رماها في النيل فمات غرقا . و بعد بحث طويل تمكنت إيزيس من جمع كل أجزاء جسمه . و تروي الأسطورة أنها بكّت عليه أياما حتى فاض النيل^١.

لذا نجد ان الطابع الجنائزي يطغى على كل الاحتفالات الخاصة بالربة إيزيس لتبين المعنى الحقيقي للموت و إعادة الإحياء^٢ وكانت للربة إيزيس خصائص عديدة ، و اعتبرتها المصادر المصرية القديمة أنها خليفة لزوجها أوزوريس الإله الأعظم. كما اعتبرت من أكبر الميتولوجيات المصرية غموضا و عمقا في التاريخ^٣

* أستاذة محاضرة - جامعة الجزائر ٢ - معهد الآثار

^١ Bosc(E) ;Isis dévoilée ou l'Egyptologie sacrée " Paris librairie académique , 1897 P 131.132

^٢ مينولوفسكي ، اسرار الالهة و الديانات ، ترجمة حسان ميخائيل اسحاق ، منشورات دار علاء الدين ، ط ٤ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٢ ، ١٣

^٣Bosc (E), opcit , p١٣٢

وقد بينت الدراسات التاريخية والاكتشافات الأثرية على انتشار عبادتها خارج حدود مصر، إلا أن طقوسها عرفت بعض التغييرات خاصة في العالم الإغريقي والروماني. فهي الإلهة الراعية - Salutaris - وشبهت أحيانا بالربة كيرس - Ceres - التي تخصب الأرض وكانت الإلهة المنارة - Pharia - والإلهة البحرية - Pelogia - لأنها كانت تحمي و تقود البحارة، لذا تخصص لها بحيرة رمزية في الكثير من الأحيان.

- طقس ايزيس بالجزائر

يعود ظهور طقس الإلهة ايزيس بالجزائر إلى الفترة الرومانية حسب النصوص والبقايا الأثرية.

ويعتبر نص الروائي ابوليوس* أهم نص أدبي تحدث عن طقس الربة ايزيس من خلال بطل الرواية لوكيوس، الذي تحول إلى حمار بعد أن شرب شرابا غريبا، ثم عاد إلى هيئته البشرية بفضل ايزيس وتبين لنا الفقرة ١١ من نص الرواية، كيفية دخوله هذا الطقس.^٤

النص اللاتيني:

Iamque tempore, ut aiebat sacerdos, id postulante/stipatum me religiosa cohorte/deducit ad proximas balneas et, prius sueto lavacro traditum, praefatus deum veniam, purissime circumroras abluit, rursumque ad templum reductum, iam duabus diei partibus transactis, ante ipsa deae vestigia constituit secretoque mandatis quibusdam, quae voce meliora sunt, illud/plane cunctis arbitris/praecipit, decem continuis illis diebus/cibariam voluptatem cohercerem neque ullum animal essem et inuinius essem. Quis venerabili continentia rite servatis, iam dies aderat divino destinatus cadimonio, et sol curvatus intrabebat vesperam. Tum ecce confluunt undique turbae, sacrorum ritu vetusto/variiis quisque me muneribus honorantes. Tunc procul profanis omnibus, lintheo rudique me contectum amicimine, arrepta manu, sacerdos deducit ad ipsius sacrarii penetralia. Quaeras satis anxie, studiose lector, quid deinde dictum, quid factum; dicerem, si dicere liceret; cognoscere, si liceret audire sed parem noxam contraherant e t aures et lingua, ista impiae loquacitatis, illae temerariae curiositatis. Nec te tamen desiderio forsitan religioso suspensum/angore diutino cruciabo. Igitur audi, sed crede, quae vera sunt. Accessi confinium mortis et calcato Proserpinae limine/per omnia vectus elementa; nocte media/vidi solem candido coruscantem lumine, deos inferos et deos superos accessi coram et adoravi de proximo

⁴ Apulée ; □ Métamorphoses ” XI , 23 , 1

عندما حان الوقت لما أشار الكاهن، أخذت إلى الحوض القريب مني و أخذت الحمام (المعتاد في طقس ايزيس) ثم طلبت فضل الإلهة برش نفسي بشكل دائري وعندما رجعت إلى المعبد بعد أن انقضى ثلثي النهار، توقفت عند قدمي الربة (إيزيس) و كان الكاهن يردد عبارات خافتة و سرية، عندها أعطاني إرشادات أمام الكل. بأن أبتعد عن كل ما لذ من طعام و أن لا أكل لحم أي حيوان و لا أشرب الخمر. و عندما احترمت هذه الإرشادات جاء اليوم المقدس . عند غروب الشمس جاء الناس من كل جهة لتشرifi حسب التقليد القديم بتقديم هدايا متنوعة. كنت مرتديا ثوبا جديدا من الكتان، أخذ الكاهن بيدي و قادني إلى أعرق مكان في المعبد، و قال لي لا تسأل عما قلته بصوت خافت رغم أنني أعرف رغبتك الشديدة لمعرفة ذلك. لا تقلق سأقول لك. لقد اقتربت من حدود الموت ثم رجعت و رأيت النور، لقد اقتربت من آلهة الجحيم و آلهة السماء الذين كانوا وجها لوجه

و يعطينا النص صورتين لطقس ايزيس، مشهد موت اوزيريس وسعي الربة لحياءه من جديد. ونقل هذه الأحداث الأسطورية في شكل أعمال رمزية كان يقوم بها المعتنق، و تكمن أهم نقطة في هذا الطقس حسب نص ابوليوس في تمكن الشخص من رؤية الآلهة وجها لوجه.

أي عكس ما نجده في مصر فإن تماثيل الآلهة في المعابد الإغريقية و الرومانية كان يراها العابدين و لو من بعيد⁵ و لا أريد هنا الاستطراد في الحديث عن الاختلافات الموجودة في طقس الربة في مصر و خارجها لان ذلك بحثا آخر.

و ما يمكن أن نستخلصه من النص أيضا هو أن عبادة الربة ايزيس كانت معروفة في الفترة الرومانية وما قبل ذلك ربما، عندما يذكر أبوليوس إن الداخل الجديد في طقس ايزيس و بعد دخوله التام فيه قال “ يأتي الناس من كل جهة فهذا دليل على شيوع عبادة ايزيس في المغرب القديم قبل التواجد الروماني ، فأبوليس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي يؤكد في النص وجود معبد مكرس لهذه الربة و الذي لا نعرف عنه تقريبا شي.

ولقد أثبتت لنا الآثار من جهة أخرى، خاصة الكتابات ان الآلهة المصرية قد عبت بالمقاطعات الرومانية الإفريقية التي تعتبر الجزائر جزءا منها⁶

وبدا الاهتمام بدراسة الطقوس الايزياكية المصرية (ايزيس و اوزريس و حورس و كل الآلهة المرتبطة بها مباشرة)، بعد الاكتشافات الأولى التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، ونشرت نتائجها في

⁵ Dunand (F), Isis ; mère des dieux, Actes Sud, 2008, p237

⁶ Gsell St, Les cultes égyptiens dans le nord-ouest de l'Afrique sous l'empire romain, dans revue d'histoire des religions, n59, 1909, p149

المجلات التاريخية و الأثرية (خلال فترة الاحتلال الفرنسي) و سجلت أيضا ضمن المجموعات المتحفية و الأثرية.

وفي ١٩٥٤ قام بيكار (Ch.G.Picard) بوضع جرد لأهم الاكتشافات التي أثبتت ان الطقوس المصرية انتشرت في الكثير من المراكز العمرانية الرومانية و أثبتت الكتابات اللاتينية ان الكثير من السكان المحليين قد تبناوا هذه الطقوس.^٧

وهو نفس الشيء الذي لمسه لوقلي (M.Leglay)^٨ . و ازداد الاهتمام بدراسة المعبودات المصرية في غرب البحر المتوسط في السنوات الاخيرة، منها الدراسة التي خصصتها فرانسواز دونا (F.Dunand) للإلهة ايزيس^٩ ودراسات أخرى ،منها بحوث للطلبة في إطار تحضير شهادة الماجستير .

وتعتبر مقاطعة موريطانيا القيصرية وخاصة عاصمتها قيصرية (شرشال حاليا) من اولى المقاطعات التي عرفت الطقوس المصرية ،التي ظهرت ابتداء من نهاية القرن الاول وانتشرت اكثر فيما بعد رغم قلة الاثار. ولا نستغرب ذلك اذا اخذنا بعين الاعتبار زواج الملك يوبا الثاني من الملكة المصرية كليوبترا سيليني.

و من أهم المناطق الجزائرية التي عثر بها على عدد كبير من الآثار الخاصة بطقس الالهة المصرية والتي تعد ايزيس ابرز عناصرها ،مدينة لومباز (Lambeisis)*الرومانية (تازولت حاليا شرق الجزائر) حيث اعتبرت مركزا لعبادتها^{١٠}

فقد كشفت الحفريات التي اقيمت بها سنة ١٩٤٩ على معبد (Iseum) يخضع مخططه تقريبا لنفس مخططات المعابد الخاصة بايزيس في مصر، حيث يحيط به سور و يرتفع فوق منصة (podium) ويحتوي على مقدمة بناء

(pronaos) ومصلى (cella) تنتهي بحنية ،كانت تحوي بالتأكيد تمثال الربة الذي عثر عليه ليس بعيدا عن المعبد وهو من الرخام الابيض ارخ حسب لسكي (Leschi L) بين ١٣٠ و ١٤٠ م^{١١}

وهو اليوم محفوظ بمتحف المدينة. وتشير الكتابة التي عثر عليها داخل المعبد إلى كلمة -Iacus- اللاتينية التي قد تؤدي معنى النافورة أو الحوض، لان الماء ضروري لطقس ايزيس.^{١٢}

وعثر بداخل المعبد على نقishtين تحملان إهدائيين ،أحدهما من طرف لوكنيوس ماتيكوس فاسكينوس (Lucius Mattucius Fuscinus) الذي

⁷ Picard.G.Ch,Les religions de l'Afrique antique,Paris,1954

⁸ Leglay.M,Les dieux de l'Afrique romaine,,Archeologia,n 39,1971pp48-55

⁹ Dunand.F,opit

¹⁰ Leglay.M Isis a Lambese,hommages a J.Leclant ,institut francais d'archeologie orientale.bibliotheque d'etudes,106,III,1994

¹¹ L.Leschi,l'Algerie antique,1952

¹² Leglay,opcit ,p342

كان الممثل الأول للإمبراطور في هذه المنطقة و تشير الكتابة الى اعادة تشغيل حوض معبد ايزيس ٢ سنة ١٥٨ م مما يرجح انه بني في بداية القرن الثاني ميلادي^{١٣} (رقم ٢٦٣٣)

أما النصب الآخر فكان من طرف لوكيوس فيجيليوس سوكوندوس فلافيوس كريسيينيوس (L.Figilius Seccundus, Flavius Crispinus)^{١٤}

وتم العثور من قبل في سنة ١٩٠٥ في منزل احد الخواص بضواحي المدينة على أربعة أنصاب في شكل إهداءات للربة ايزيس. وعثر كذلك على عدة تماثيل صغيرة، منها تمثال لشخص ربما كاهن غير مخلوق الرأس كما يجب ان يكون في طقس الربة، يحمل على ذراعه سعفة و في جبهته علامة تمثل ربما الرمز الهيروغليفي التي تحمله الإلهة كرمز للأبدية^{١٥}

كما اكتشف بالمدينة مذبحا يمثل الثالوث المصري مرفقا بمجموعة من الآلهة، منها انوبيس الذي يقود الأرواح إلى الآخرة في مصر و شخص هنا في الإله هرمس الإغريقي، و الإله باس القزم الذي يمثل القوة الشرسة ضد الشباب الأبدى لحورس، ووجدت أدوات أخرى خاصة بالطقس تمثل حيوانات كالثور ابيس و الثعبان و القرد و القط ذو الصفات السحرية^{١٦} لبرت. و قد درست مجموعة التماثيل الصغيرة من طرف فرانس الكورسو (Corsu.F)^{١٧}

كما عثر أيضا بالمدينة على مصابيح تحمل رسم الربة ايزيس. و في ١٩٩٤ تم إحصاء كل البقايا المرتبطة بطقس ايزيس و اوزيريس المكتشفة بالمنزل المذكور أعلاه من طرف محافظة متحف الآثار القديمة بالجزائر السيدة نعيمة عبد الوهاب .

ومن بين الآثار الجميلة الخاصة كتابة شعرية عثر عليها بمدينة قسنطينة (شرق الجزائر) تخص فتاة هي إحدى كاهنات الربة ايزيس.^{١٨}

¹³ Corpus inscriptionum latinarum, VIII, Berlin, 1881-1916, n, 2630

¹⁴ IBID , n, 2631

¹⁵ Gros Lambert (A), Les dieux orientaux a Lambese , dans, Histoire d'Afrique romaine, , edit, Temps, 2005, P209

¹⁶ Laporte J.P, Isiacs d'Algerie, Actes du colloque international sur les etudes isiaques, Lyon, 2002 ; Leuden, 2004, p299

¹⁷ Corsu. (F) , Isis et ses mysteres, Paris, 1977, p253

¹⁸ Inscriptions latines de l'Algerie, Paris , 1957, t 2, n809

M E M O R I A E
I V L I A S I D O N I A F E L I X
D E N O M I N E T A N T V M
C V I N E F A S A N T E D I E M
R V P E R V N T S T E M I N A P A R
C A E Q V A M P R O C V S H E V
N V P T I I S H Y M E N E O S C O N
T I G I T I G N E S I N G E M V E R E
O M N E S D R Y A D E S D O L V E R E P V E L L A E
E T L V C I N A F A C I S D E M E R S O L V M I
N E F L E V I T V I R G O Q V O D E T S O
L V M P I G N V S F V E R A T Q V E P A R E N
T V M M E M P H I D O S H A E C F V
E R A T D I V A E S I S T R A T A E S A C E R
D O S H I C T V M V L A T A S I L E T
A E T E R N O M V N E R E S O M N I
V A X V I I I I M I I I I D X I I I I
H S E

بمعنى :

إلى الآلهة مان(الهة الموت)، ولذكرى يوليا صيدونيا فليكس سعيدة بالاسم فقط، التي قطع خيط حياتها عندما كانت على أهبة الزواج، الذي هو مشعل آلهة الزواج، كلّ حوريات الغابات تنن، الفتيات كلهن تأسفن لموتها، و(لوكينيا) بنفسها بكت نور مشعلها المنطفئ، هي العذراء التي كانت عربون الحب الوحيد لوالديها كانت كاهنة ربة ممفيس (إيزيس) تحت هذا القبر، هي صامته مثقلة بالثوم الأبدى. ويدل اسم الفتاة Sidonia على أصول شرقية حتى في اعتقادها الديني

فهي كاهنة الربّة إيزيس الشرقية، وتؤكد وظيفتها كاهنة على وجود معبد لهذه الربة بالمدينة ولكن لا وجود لأي آثار له. ولا نستغرب وجود عبادة إيزيس بمدينة قسنطينة التي عرفت تأثيرات شرقية كبيرة تعود إلى ما قبل الاحتلال الروماني.

ورغم قلة الآثار التي تشير إلى طقس إيزيس بالمناطق الجزائرية الأخرى مقارنة بمدينة لامباز التي كانت الاكتشافات كثيفة بها إلا أنه يمكننا تأكيد وجود هذا الطقس الذي لا نعرف بالضبط متى وكيف دخل. ، أما كاميل سورديل (Sourdille.C) في دراسته لهيرودوت، فقد شبهها بإحدى المعبودات في شمال إفريقيا في العصور القديمة وهي تانيت (Tanit) و يقول " عادت إيزيس عند اللبيين تحت اسم تانيت^{١٩}

فقد يكون قد دخل قبل الاحتلال الروماني أي في الفترة الفينيقية التي كانت لها علاقات مباشرة بمصر فقد عثر على بقايا مصرية كالتعاويذ والحلي في المقابر القرطاجية التي ترجع إلى القرنين السابع و السادس ق.م، وعثر أيضا على رسومات للإلهة إيزيس على أواني برونزية في ورشات عديدة بقرطاجة في الفترة الهيلينية حيث كان طقس الإلهة إيزيس من الطقوس الرسمية بالمدينة.^{٢٠}

وقد نتفق مع كومان (Cumont.F)^{٢١} عندما يرى أن انتشار الطقوس الشرقية ليس مرده فقط العلاقات التجارية و حركة الناس، أنه ربما يرجع إلى أسباب أكثر عمقا، أي أسباب سيكولوجية و أخلاقية لأنها تحدث شعورا وحسا كبيرين بفضل طريقة الاحتفال التي ترفق بالموسيقى و الغناء و الرقص و بذلك فهي تجذب الأشخاص نحو عجائب طقوسها فهي تحدث ذلك السرور الذي يقود إلى وياتي نجاح الطقس المصري لأنه يعد الشخص باليوم الآخر لأن الداخل في هذا الطقس يعتبر نفسه كاوزريس الذي يحي من جديد بعد موته . نماذج من الآثار الخاصة بطقس إيزيس.

إيزيس حسب وصف أبوليوس تظهر إيزيس واقفة وسط منظر محاذاي البحر، مرتدية معطفا كبيرا يحمل زخارف نجمية و يوجد فوق شعرها المتدلي تسريحة معقدة تتركب من تاج من الزهور فوقه قرص محاط بثعابين و تزيين آخر غير واضح و تحمل في يدها اليمنى شيء يشبه الجناك

¹⁹ Gros Lambert (A), opcit, P195

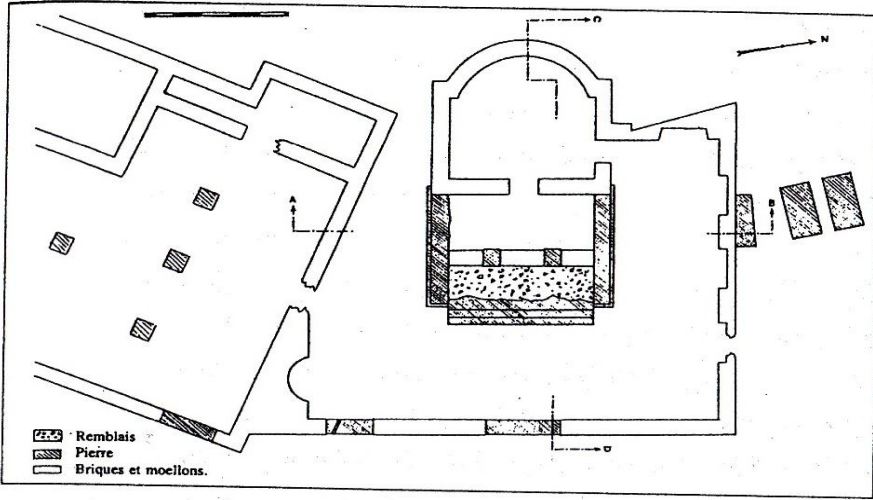
²⁰ Dunand (F), opcit, p246

²¹ Cumont (F), Les religions orientales dans le paganisme romain, Paris, 1929

(sistrum) وهو آلة موسيقية مصرية قديمة تستعمل في طقس ايزيس و في المواكب الجنائزية. وفي يدها اليسرى دلو صغير (situla) فيه الماء المقدس، ويعتبر الجنك والدلو من أهم خصائص هذه الربة. عن

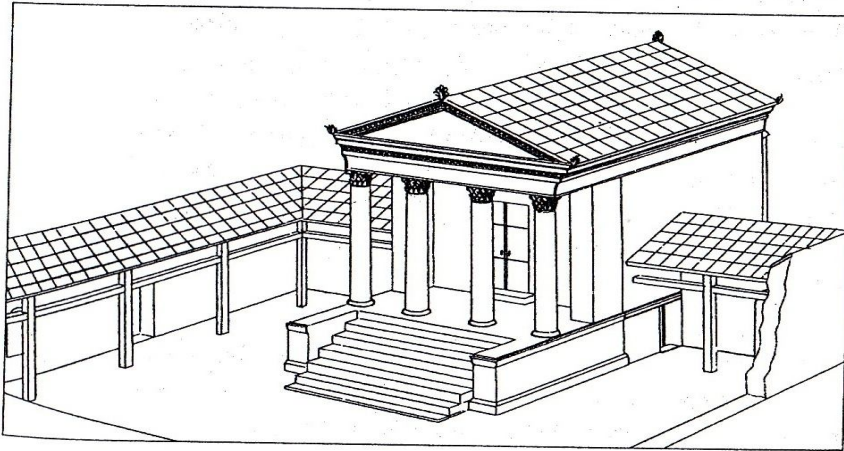


Dunand (F), Isis ;mère des dieux, Actes Sud,2008,p305



مخطط معبد الإلهة إيزيس في لامببيز الذي بني باستعمال مواد مختلفة من حجارة و اسمنت روماني و
قرميد عن

le Glay (M); Isis a Lambèse, hommages a Jean Leclant , le Caire , 1994 ,P
245



صورة توضح إعادة تشكيل لمعبد إيزيس بلامببيز ، حيث يظهر السور المحيط بالمعبد الذي يرتفع
فوق منصة (podium) وهو موجه من الشرق إلى الغرب. ونصل إلى مقدمة (pronaos) المعبد

عبر ساللم. عن Le Glay (M); Opc.it , P 245

تمثال الربة ايزيس (متحف لامبيز) تظهر الربة واقفة مرتدية فستانا فوقه معطف يدور على الكتفين والظهر ثم يصل إلى وسط الصدر، أين يشد بعقدة كبيرة وهي من ميزات لباس ايزيس .



مذبح يحمل نقيشة الفتاة صيدونيا كاهنة الربة ايزيس (متحف سيرتا بقسنطينة)